سلسلة

قصص في الآداب

٧

آداب الزيارة

منصور علي عرابي





قصص آداب الإسلام

٧

قصص آداب الزيارة

إعداد

منصور علي عرابي

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم التسلسل ٥٨



سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧

فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+

algwthani@scs-net.org

اسْتِئْذَانُ الزَّائِرِ

كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُعلِّمُ أصحابَهُ آدابَ الاستِئذَانِ، وذَلكَ تَنفيذاً لأمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، قَالَ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٢٧ ـ ٢٨].

وذَاتَ يَومٍ، كَانَ النَّبيُّ ﷺ فِي بيتِهِ ومعَهُ خادِمُـهُ أنـسُ بـنُ مَالـكٍ رضي الله عنه، فَجاءَ رَجلٌ، ووَقَفَ علَى بابِ البيـتِ، وَقـالَ: أألِـجُ؟ (أي: هَلْ أدخُلُ)؟

فَقالَ النَّبيُّ ﷺ لِخادمِه: «اخرُجْ إلى هذَا فَعلِّمْهُ الاسـتِئذَانَ، فقُـلْ لَهُ: قُلْ: السَّلامُ عَليكُمْ، أأَدخلُ؟».

فَسمعَ الرَّجلُ كلامَ النَّبيِّ ﷺ، فَقـالَ: السَّـلامُ عَلـيكُمْ، أأدخـلُ؟ فَأذنَ لهُ النَّبيُّ ﷺ بِالدُّخولِ، فَدخَلَ الرَّجلُ. [أبو داود].

مِن آدابِ الزِّيارةِ: عدَمُ النَّظرِ داخِلَ البَيتِ قبـلَ الاسـتِئذانِ، فَقَـدْ كـانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا زارَ أحَداً لا يَستَقبِلُ البابَ بوَجهِهِ، ولَكِـنْ يَقِـفُ بِجَانـبِ البابِ. [أبو داود].

الاستِئذَانُ ثلاثاً

أرسَلَ أميرُ المؤمِنينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه إلَى أَبي مُوسَى الأَشْعَريِّ رضي الله عنه وَطلَبَ مِنْهُ أنْ يَأتيَهُ.

وَبعدَ مُدَّةٍ، ذَهَبَ أبو مُوسَى إلى بيتِ عُمَرَ، فلَمَّا وصَلَ إلى بابِ الدَّارِ وَقَفَ علَى البابِ، وَاستَأذنَ ثلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَم يَأذَنْ لهُ أحَدٌ بالدُّخُولِ، فَرجَعَ.

وَفِي أثناءِ عَودَتِهِ، وَجَدَ أبَا سَعيدٍ الخُدْرِيَّ رضي الله عنه جَالِساً معَ بعضِ الأنصارِ، فَذهبَ أَبُو مُوسَى إِليهِمْ، وجَلَسَ معهُمْ.

وبَعْدَ قليلٍ، جاءَ عُمَرُ رضي الله عنه فَقالَ لهُ: مَا مَنعَكَ أَنْ تَأتيَنِي؟

فَقالَ أَبو مُوسَى: قَدْ جِئتُ فَاستَأذَنْتُ ثَلاثاً؛ فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَقَدْ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا استَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاثاً فَلَمْ يُؤْذَنْ لهُ فَلْيَرْجِعْ» [أبو داود].

من آدابِ الزِّيارةِ أنْ يستَأذنَ الزَّائرُ مِنْ صَاحبِ البَيتِ، ولَهُ أنْ يَستَأذنَ ثلاثَ مرَّاتٍ، وَلا يَزيدُ على الثَّلاثةِ، فَإنْ أُذِنَ لهُ دخَلَ؛ وإلاَّ انصَرَفَ.



تَخفيفُ الزِّيارةِ

عِندمَا تزوَّجَ رسولُ الله ﷺ السَّيِّدةَ زَيْنبَ بنتَ جَحْشٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - ، صنَعَ وَلِيمةً مِنَ الطَّعامِ، ودعَا النَّاسَ لِيأكُلُوا، فَجاءَ النَّاسُ وَأكلُوا، ثُمَّ انصرَفُوا، وبَقِيَ ثلاثةٌ مِنَ الرِّجالِ، ظَلُّوا جَالِسينَ فِي حُجْرةِ النَّبيِّ ﷺ، فَدخَلَ النَّبيُّ ﷺ الحُجْرَةَ، فَوجَدَهُمْ، فَانصرَفَ، ثُمَّ عادَ فَوجَدَهُمْ، فَانصَرفَ، ثُمَّ قَامُوا وَانصرَفُوا، فَذهَبَ أنسُ بنُ مالك رضي الله عنه إلى النَّبيِّ ﷺ وَأخبرَهُ أَنَّهُمُ انصرَفُوا، فجاءَ النَّبيُّ ﷺ. ثُمَّ أنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ قُرآناً يُوجِّهُ المُسلِمينَ إلى تَخفيفِ الزِّيارةِ، وَعدَمِ إطالَتِهَا، خاصَّةً بعدَ أن يَنتهِيَ الزَّائرُ مِن قضَاءِ حَاجَتِهِ، قَالَ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأحزاب:٥٣].

إذَ زارَ المُسلمُ عَروسَينِ يُستَحَبُّ أنْ يَدعُوَ لَهُمَا بِالخَيرِ، وَمنْ ذلكَ أنْ يقولَ لكلٍّ مِنْهُمَا: «بَاركَ اللهُ لكَ، وبَاركَ عَلَيكَ، وجمَعَ بينكُمَا فِي خَيرٍ» [الترمذي].

استِطَاعةُ المَزُورِ

كَانَ النَّبيُّ ﷺ لا يُكلِّفُ أَصحابَهُ مَا لا يُطِيقُونَ، وَذلكَ عَمَلاً بقولِ اللهِ تَعالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وكَانَ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رضي الله عنه كَريماً جَوَاداً، يُكرِمُ ضُيُوفَهُ، ويَدعُو النَّاسَ لِزيارَتِه.

وذاتَ يَومٍ، جَاءَ إلى جابرٍ بعضُ النَّاسِ لزِيارتِهِ، ولَمْ يَكُنْ جابرٌ قَدْ أعَدَّ لَهُمْ طَعاماً، ولَمْ يكُنْ مُستَعِداً لهذِهِ الزِّيارةِ، فَرَحَّبَ بِهِمْ، وَأدخَلَهُمُ الدَّارَ.

ثمَّ دخَلَ جابرٌ رضي الله عنه البيتَ يبحَثُ عَنْ طَعامٍ يُكرِمُ بهِ زَائريهِ، فلَمْ يَجِدْ سِوى الخُبزِ وَالخَلِّ، فَأحضَرَهُ، وَقدَّمَهُ إليهِمْ، وقَالَ لَهُمْ: كُلُوا؛ فَإنِّي سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «نِعْمَ الإدامُ (مَا يُؤكَلُ بهِ الخُبزُ) الخَلُّ. إنَّهُ هَلاَكٌ بِالرَّجلِ أَنْ يَدخُلَ إليه النَّفَرُ مِنْ إخوانهِ فَيحتَقِرُ مَا في بَيتِهِ أَنْ يُقدِّمَهُ إليهِمْ، وَهلاَكٌ بِالقَومِ أنْ يَحتَقِرُوا مَا قُدِّمَ إِليهِمْ» [الحاكم وأبو يعلى].

المُسلِمُ أخُو المُسلمِ، لا يُجْهِدَهُ في طلَبِ مَا لا يستَطِيعُ، ولا يُكلِّفَهُ مَا لا يتَحمَّلُ عندَمَا يَزُورهُ، كمَا أنَّ المُسلِمَ المَزُورَ لا يَبخَلُ على أخيهِ بمَا يُمكِنُ أن يُقدِّمَهُ لهُ.

إمَامَةُ الزَّائرِ

كانَ النَّبيُّ ﷺ حَرِيصاً علَى أنْ يُعطِيَ كلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَمِنْ حَقِّ الرَّجلِ فِي الإسلامِ أنْ يكُونَ سَيِّداً في بَيتِهِ، وَالمُتَصَرِّفَ الوحِيدَ في شؤُونِهِ، فَلا يَدخُلُ أحَدٌ بيتَهُ إلاَّ بِإذنِهِ، وَلا يَجلسُ أحَدٌ على فِراشِهِ إلاَّ بإذنِهِ، وَلا يُصَلِّي بهِ أحَدٌ في بيتِهِ إلاَّ إذَا أذِنَ لهُ، وقَدْ عَلَّمَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَهُ ذَلكَ.

وكانَ مَالِكُ بنُ حُوَيْرِثَ رضي الله عنه مِنْ صحَابةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

وذاتَ يَومٍ، كانَ مالكٌ يَزورُ بعضَ أصحابِهِ، فَحانَ وَقتُ الصَّلاةِ، وكانَ عندَ هؤلاءِ النَّاسِ مُصَلَّى فِي بَيتِهِمْ، فَأقامُوا الصَّلاةَ وَطلَبُوا منْهُ أنْ يَتَقدَّمَ لِيُصَلِّيَ بهِمْ، فَرَفَضَ مَالكٌ ذَلكَ، وقَالَ لَهُمْ: قَدِّمُوا رَجُلاً منكُمْ يُصَلِّي بِكُمْ، وسَأُحَدِّثُكُمْ لِمَ لاَ أُصَلِّي بِكُمْ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «مَنْ زارَ قَوماً فَلاَ يَؤُمُّهُمْ، وَلْيَؤُمُّهُمْ رَجلٌ مِنْهُمْ» [أبو داود].

لا يَجوزُ لِلزَّائرِ أن يُصَلِّيَ بِمَنْ يَزُورُهُمْ في بُيوتِهِمْ إلاَّ بِإذنِهِم، قَالَ ﷺ: «إذَا زارَ أحَدُكُمْ قَوماً فلاَ يُصَلِّيَنَّ بِهِمْ» [النسائي].

زِيارةُ المُتَحَابِّينَ

دَوامُ الصِّلةِ والوِدِّ والمَحبَّةِ بينَ النَّاسِ مِنْ أهَـمِّ الأُمـورِ وَأعظَمِهَـا عندَ اللهِ، ومِـنْ أسـبابِ تحقيـقِ ذَلـكَ: أنْ يُكثِـرَ النَّـاسُ مِـنْ زيـارتِهِمْ لبَعضِهِمْ، وبِذلِكَ يَزِيدُ الحُبُّ بينَهُمْ، كمَا يَحصُلُونَ على الأَجرِ الكـبيرِ مِنَ اللهِ.

وقَدْ كانَ لِرَجلٍ صَدِيقٌ يَسكُنُ في قَريةٍ بَعيدةٍ عـن قَريَتِـه، فخَـرَجَ ذلِكَ الرَّجلُ يُوماً لزيارةِ صَديقِه. وَفي الطَّريقِ، قابَلَـهُ مَلَـكٌ في صُـورةِ رَجلٍ، فلَمَّا اقترَبَ منْهُ سألَهُ المَلَكُ: أينَ تُرِيدُ؟

فقالَ الرَّجلُ: أريدُ أخاً لِي في هذِه القَريةِ.

فَقالَ المَلَكُ: هَلْ لكَ علَيهِ مِنْ نِعمَةٍ تَرُبُّهـا (أيْ: هَـلْ لـكَ عِنـدَهُ مَصْلَحةٌ تذهَبُ إليهِ بسبَبِهَا)؟

فقالَ الرَّجلُ: لا، غيرَ أنِّي أحبَبتُهُ في اللهِ عزَّ وجلَّ.

فَقالَ المَلَكُ: فَإنِّي رسولُ اللهِ إليكَ، بِأنَّ اللهَ قَدْ أحبَّكَ كمَا أحبَبتَهُ فيهِ. [مسلم].

زِيارةُ الإخـوانِ في اللهِ لهَـا عنـدَ اللهِ أجْـرٌ عَظِـيمٌ، قَـالَ ﷺ: «قَـالَ اللهُ تَعالَى: وَجبَتْ محبَّتِي لِلمُتَحابِّينَ فيَّ (مِنْ أجْلِـي)، وَالمتَجالسِـينَ فيَّ، وَالمُتَزاورِينَ فيَّ» [مالك].

زِيارةُ الأقَارِبِ

كانَ النَّبيُّ ﷺ يَحرَصُ على صِلَةِ الأرحَامِ، وَيأمُرُ أصحابَهُ بذلكَ، فيقولُ لهُمْ: «مَن كانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليومِ الآخرِ فَليَصِلْ رَحِمَهُ» [متفق عليه].

وكانَ أحَدُ الصَّحابةِ يُنفِّذُ أمرَ النَّبيِّ ﷺ فيَزورُ أقارِبَهُ، وَيصِلُهُمْ، وَلكنَّ أقارِبَهُ كانُوا لا يَزُورُنَهُ، وَلا يُحسِنُونَ مُعامَلتَهُ، فَغَضِبَ الرَّجلُ مِنْ ذلكَ، وذهَبَ إلى النَّبيِّ ﷺ يَشكُو إليه، وَقالَ لهُ: يَا رسولَ اللهِ! إنَّ لِي قَرَابةً (أقارِب)، أَصِلُهُمْ وَيقْطَعُونَني (أي: لا يَزورُنَني)، وَأحسِنُ إِليهِمْ وَيسيئُونَ إليَّ، وَأحلُمُ عَنْهُمْ (أُعامِلُهُمْ بِالرِّفقِ) وَيجْهَلُونَ عَليَّ (يُعامِلُونَني بِالغِلْظةِ وَالشِّدَّة). فَأوصَاهُ النَّبيُّ ﷺ أنْ يَستَمِرَّ في زِيارَتِهِمْ وَصِلَتِهِمْ، فَلَهُ بذلكَ الأجرُ الكبيرُ، وَعليهِمُ الوِزْرُ وَالذَّنْبُ؛ لِسُوءِ مُعامَلَتِهِمْ لهُ، وقَالَ لهُ النَّبيُّ ﷺ: «لَئِنْ كُنتَ كمَا قُلتَ فَكأنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ (تُطعِمُهُمُ الرَّمادَ الحارَّ)، وَلا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ (تَأييدٌ وَتوفيقٌ مِنَ اللهِ) عَليهِمْ مَادُمْتَ على ذَلكَ» [مسلم].

قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن أحَبَّ أن يُبْسَطَ لهُ في رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ (يُبارَكَ له في عُمْرِهِ، وَيُمَدَّ لهُ في ذِكرَاه) فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» [متفق عليه].

بَشيرُ الخَيرِ

كانَ النَّبيُّ ﷺ يأْمُرُ أصحابَهُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ إِذَا زَارُوا مَريضاً أَنْ يُبشِّرُوهُ بِالخَيرِ، ويَذْكُرُوا عِندَهُ الكلامَ الحسَنَ الذِي يُطَيِّبُ نفسَهُ ويُعطِيهِ الأمَلَ.

وَذاتَ يومٍ، خرجَ أحَدُ الصَّحابةِ يَزورُ صَديقاً لهُ، لِيَطمئِنَّ على حالِه، فلَمَّا كانَ فِي الطَّريقِ عَلِمَ أنَّ صَديقَهُ هذَا مَريضٌ، فَجَعَلَ نيَّتَهُ زيارةَ مَريضٍ.

فلمَّا دخَلَ على صَديقِهِ المَريضِ، قالَ لَهُ: أَتيتُكَ زَائِراً، وَعائِداً (أيْ أزُورُ المَريض)، وَمبَشِّراً.

فقالَ لَهُ صَديقُهُ: كيفَ جمَعْتَ هذَا كُلَّهُ؟

فقالَ: خَرَجْتُ وأنا أُريدُ زِيارتَكَ، فَعَلِمتُ بِمَرَضِكَ؛ فَكانتْ عِيادةً (أي: زِيارةَ مَريضٍ)، وَأُبشِّرُكَ بشَيءٍ سَمعتُهُ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا سَبَقَتْ للعَبدِ مِنَ اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبلُغْهَا بِعَمله؛ ابتَلاَهُ اللهُ فِي جسَدِهِ أو فِي مالِه أو في ولَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ حتَّى يُبَلِّغَهُ المَنْزِلةَ (المَكَانةَ العالِيَةَ) التي سبَقَتْ لهُ مِنْهُ» [أحمد].

مِنْ آدابِ زيارةِ المريضِ أن يَدعُوَ الإنسانُ لهُ بالشِّفَاء، ويُذَكِّرَهُ بأجرِ الابتلاءِ بالمَرضِ وثَوابِهِ، ويَذْكُرَ عِندَهُ الكلامَ الطَّيِّبَ، ولاَ يُطِيلَ الجُلوسَ عِندَهُ إلاَّ إذا طلبَ المَريضُ ذلكَ وكانَ في ذلكَ مؤازرةٌ لهُ.

زِيارةُ التَّعْزيةِ

أرسَلَ النَّبيُّ ﷺ جَيْشاً إلى مُؤْتَةَ ـ على حُدود بلادِ الشَّامِ ـ لتأديبِ الرُّومِ، وكانَ عددُ جيشِ الرُّومِ كَثيراً، ولكِنَّ المُسلمينَ لَمْ يَخافُوا ذلكَ.

فلَمَّا بَدأَتِ الحَربُ، استُشهِدَ عددٌ كبيرٌ مِنَ المُسلمينَ، وكانَ ممَّنِ استُشهِدَ في هذِهِ المَعركةِ: الصَّحابيُّ الجَليلُ جَعفَرُ بنُ أبي طَالِبٍ رضي الله عنه؛ ابنُ عَمِّ النَّبيِّ ﷺ. فلَمَّا عَلِمَ ﷺ باستِشهَادِ جَعْفَرٍ ذهَبَ إلى بَيتِهِ لِيُواسِيَ زوجَتَهُ وأبناءَهُ، فلَمَّا دخَلَ الدَّارَ أحضَرَ أولادَ جَعْفَرٍ الصِّغارَ، وقَبَّلَهُمْ، فَسألَتْهُ أَسْماءُ ـ زَوجةُ جَعْفَرَ ـ : يَا رسولَ الله! أَبلَغَكَ عَنْ جعفرَ شَيءٌ؟

فَقالَ ﷺ: «نَعَم. قُتِلَ اليومَ».

فَبكَتْ أَسْماءُ على مَوتِ زَوجِهَا وفِرَاقِه، ومَازالَ أولادُهُ صِغَاراً، فَخَفَّفَ النَّبيُّ ﷺ عَنْهَا حُزنَهَا، ووَاسَاهَا، ثمَّ رَجَعَ إلى بَيتِه، وقَالَ لأَهلِه: «اِصنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعاماً، فَقَدْ شُغِلُوا عَنْ أنفُسِهِمْ» [الترمذي].

للتَّعزيةِ فَضلٌ عَظيمٌ، وأجرٌ كبيرٌ عندَ الله، قَالَ ﷺ: «مَا مِنْ مُؤمِنٍ يُعزِّي أخاهُ بِمُصيبَةٍ إلاَّ كَسَاهُ اللهُ ـ سُبحانَهُ ـ مِنْ حُلَلِ الكرَامةِ يومَ القِيامةِ» [ابن ماجه].

زِيارةُ الأَبناءِ

تَزوَّجَ إسمَاعيلُ عليه السلام امرأةً مِنْ قبيلةِ جُرْهُمْ، فذهَبَ إليهِ وَالِدُهُ إبراهيمُ عليه السلام يَزُورُهُ، وَيطمَئِنُّ على حالِه، فَلَمْ يَجِدْهُ فِي البيتِ، فسألَ امرأتَهُ عَن حالِهِمْ فَشَكَتْ لهُ الضِّيْقَ وَالفَقْرَ، فَقالَ لهَا: إذَا جاءَ زَوجُكِ فَاقرَئِي عليهِ السَّلامَ وَقولِي لهُ يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بابِهِ. فلَمَّا جاءَ إسمَاعيلُ أَخبرَتْهُ، فَقالَ لهَا: ذاكَ أَبي، وَقَدْ أمَرَنِي أنْ أُفارِقَكِ. فطَلَّقَهَا، ثمَّ تزَوَّجَ امرأةً أُخْرَى.

وَبعدَ مُدَّةٍ، ذَهَبَ إبراهيمُ عليه السلام يَزُورُهُمْ، فَلَمْ يَجِدْ إسمَاعيلَ فِي البَيتِ، فَسأَلَ زَوجَتَهُ عن حالِهِمْ، فَقالَتْ: نحنُ بخَيرٍ وَسِعَةٍ. فدَعَا لهَمُ بالخَيرِ والبَركَةِ، ثمَّ قَالَ لهَا: إذَا جاءَ زَوجُكِ فَاقرَئِي عَليهِ السَّلامَ، وَمُرِيهِ يُثبِّتُ عَتَبَةَ بابِهِ. فلَمَّا جاءَ إسماعيلُ أخبَرَتْهُ بمَا حدَثَ، فَقالَ لَهَا: ذاكَ أَبي، وَأَنتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أنْ أُمسِكَكِ (أي: لا أُفارِقَكِ). [البخاري].

يُستَحَبُّ للأَبِ وَالأُمِّ زِيارةُ أبنائِهِمَا لِلاطمِئْنانِ على حالِهِمْ، وَمعرفَةِ احتِياجَاتِهِمْ وَمُساعدَتِهِمْ، فَقَدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يَزورُ بناتَهُ لِيَطمئِنَّ علَيهِنَّ.

مُدَاعبَةُ أولادِ المَزُوْرِ

كانَ النَّبيُّ ﷺ شديدَ التَّواضُعِ، رَفيقاً بِأصحابِهِ، يَزُورُهُمْ وَيَسأَلُ عَن شُؤُونِهِمْ، ويُداعِبُ أولادَهُمْ وَيُلاطِفُهُمْ في حُبٍّ وَتوَدُّدٍ، وَذلِكَ تَأليفاً لِقُلوبِهِمْ، وَحِرْصاً على إشاعةِ رُوحِ الحُبِّ والمَرحِ بينَهُمْ.

وكانَ مِمَّنْ يَزورُهُمْ: أبو طَلْحةَ وزوجَتُهُ الرُّمَيْصَاءُ وَابنُهَا أَنَسُ بنُ مالِكٍ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وكانَ لأَنسٍ أخٌ، اسمُهُ: «أَبو عُمَيرٍ»، فكانَ النَّبيُّ ﷺ يُحِبُّهُ وَيُداعِبُهُ.

وكانَ لأبي عُمَيرٍ طائرٌ صَغيرٌ، فمَاتَ هذَا الطَّائرُ، فكَانَ النَّبيُّ ﷺ يَقولُ لأِبي عُمَيرٍ مُدَاعِباً: «يَا أَبَا عُمَيرٍ؛ مَا فعَلَ النُّغَيرُ (الطَّائرُ الصَّغيرُ)»؟.

وَاستَمرَّ النَّبيُّ ﷺ يَزُورُهُمْ وَيُصَلِّي عِندَهُمْ وَيَدعُوْ لَهُمْ بالخَيرِ وَالبَرَكةِ حتَّى تُوفِّيَ ﷺ. [متفق عليه].

مِنْ آدابِ الزِّيارة: إخلاصُ النِّيَّة، وَاختيارُ الوَقتِ المُناسِبِ، وَالدُّعاءُ لأهلِ المَزُورِ، ومُلاطَفةُ أطفالِ المَزُورِ ومُداعبَتُهُمْ.

زِيارةُ أَهلِ الخَيرِ

كَانَ النَّبيُّ ﷺ حَرِيصاً على زيارةِ أهلِ الخَيرِ، وكانَ يَحُثُّ أصحابَهُ على زِيارتِهِمْ وَالجُلوسِ معهُمْ. فَقَدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يَزورُ السَّيِّدةَ أمَّ أيمَنَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - وَيَتَفقَّدُ أحوالَهَا، ويَجلِسُ عِندَهَا، فلَمَّا تُوفِّيَ النَّبيُّ ﷺ قَالَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: انطَلِقْ بنَا إلى أُمِّ أيمَنَ نَزُورُهَا كمَا كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا.

فوافَقَهُ عُمَرُ على ذلكَ، وذهَبَا معاً إلى بَيتِ أُمِّ أيمَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

فلَمَّا دخَلاَ عَليهَا وَجلَسَا عِندَهَا بكَتْ، فَقالاَ لهَا: مَا يُبكِيكِ؟ مَا عِندَ اللهِ خَيرٌ لِرسولِهِ ﷺ.

فقَالَتْ: مَا أَبكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أعْلَمُ أنَّ مَا عِندَ اللهِ خَيرٌ لِرَسولِهِ ﷺ (أي: مَا أَبكي لِهذَا السَّببِ)، وَلَكِنْ أَبكِي أنَّ الوَحْيَ (نُزولَ القُرآنِ) قَدِ انقَطَعَ مِنَ السَّماءِ. فَبَكَيَا معَهَا على ذلِكَ. [مسلم].

يُستحبُّ لِلمُسلِمِ أنْ يُداوِمَ على زيارَةِ أهلِ الخيرِ ومجالستِهِمْ، قَالَ تَعالَى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨].

زِيارةُ القبورِ

ذاتَ يَومٍ؛ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَسيرُ معَ أصحابِهِ، فَمَرُّوا علَى قَبرَيْنِ فِيهِمَا رجلانِ يُعذَّبَانِ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِهِ: «إنَّهُمَا لَيُعذَّبَانِ، ومَا يُعذَّبَانِ فِي كبيرٍ، أمَّا أحدُهُمَا فكانَ لا يَستَتِرُ مِنَ البولِ، وأمَّا الآخرُ فكانَ يَمشِي بِالنَّميمةِ».

ثُمَّ أخذَ رسولُ اللهِ ﷺ جريدةً خضراءَ رطبةً، فشقَّهَا نِصفَيْنِ، ثُمَّ غرزَ في كُلِّ قبرٍ واحدةً.

فقالَ الناسُ: يَا رسولَ اللهِ، لِمَ صَنَعتَ هذَا؟

فَقالَ ﷺ: «لعلَّهُ أَنْ يُخفَّفَ عنهُمَا مَا لَمْ يَيبسَا (أيْ: يَرحَمُهُمَا اللهُ طَالمَا أنَّ الجَريدةَ خَضراءُ لَمْ تَيْبَسْ)» [البخاري].

وهكذَا يُعلِّمُنَا النَّبيُّ ﷺ أَنْ لا نَستَهِينَ بِصَغَائرِ الذُّنوبِ، فَمُعظَمُ النَّارِ مِنْ مُستَصغَرِ الشَّرَرِ.

قُلْ عندَ زيارةِ القُبورِ: «السَّلامُ عَليكُمْ أهلَ الدِّيارِ مِنَ المُؤمنينَ والمُسلمينَ، ويَرحَمُ اللهُ المُستَقدمِينَ والمُستأخِرِينَ، وإنَّا إنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لَلاَحِقُونَ».

فَضْلُ الزِّيارةِ

مَرِضَ الحسَنُ بنُ عليٍّ بنِ أبي طَالبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، فذهَبَ أبو مُوسَى الأشعَريُّ رضي الله عنه لِيَزُورَهُ.

فلَمَّا وصَلَ إلى الدَّارِ سألَهُ الإمامُ عليٌّ رضي الله عنه عَن سبَبِ زيارتِهِ لهُمْ، وَهل هِيَ زِيارةٌ خاصَّةٌ بالمَريضِ أمْ زِيارةٌ عامَّةٌ لأهلِ البيتِ كلِّهِمْ، فَأخبَرَهُ أبو مُوسَى أنَّ المَقصُودَ هوَ زِيارةُ المَريضِ؛ وهُوَ الحسَنُ رضي الله عنه.

فَبَشَّرَهُ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ بِفَضلٍ عَظيمٍ وأجْرٍ كَبيرٍ بِسبَبِ زيارةِ المَريضِ، وقالَ لهُ: سَمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ عادَ (زارَ) مَرِيضاً بُكْراً (في الصَّباحِ) شَيَّعَهُ (سارَ معَهُ) سَبْعُونَ ألفَ مَلَكٍ، كُلُّهُمْ يَستَغفِرُ لَهُ حتَّى يُمْسِي، وكانَ لهُ خَرِيفٌ (مكانٌ) في الجنَّةِ، وَإنْ عادَهُ مَساءً شَيَّعَهُ سَبْعُونَ ألفَ مَلَكٍ، كُلُّهُمْ يَستَغفِرُ لَهُ حتَّى يُصبِحَ، وكانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجنَّةِ» [أحمد].

لِلزِّيارةِ فَضْلٌ كَبيرٌ، قَالَ ﷺ: «مَن عادَ مَريضاً أو زارَ أخاً لهُ في الله ناداهُ مُنادٍ أنْ طِبْتَ وطَابَ مَمْشَاكَ وتَبَوَّأتَ (نِلْتَ) مِنَ الجنَّةِ مَنزِلاً (مَكاناً)» [الترمذي].

قِصَصُ آدابِ الزِّيارةِ

الزِّيارةُ مِنَ الأُمورِ التي تَجِبُ على كلِّ مُسلمٍ، خَاصَّةً في مناسباتِ الفرَحِ أوِ الحُزنِ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ المُؤمنينَ في تَوَادِّهِمْ وتراحُمِهِمْ وَتعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجسَدِ، إذَا اشتَكَى مِنْهُ عُضوٌ تَدَاعَى لهُ سائِرُ الجسَدِ بالحُمَّى والسَّهَرِ» [متفق عليه].

وَلِلزِّيارةِ ثَوَابٌ عَظيمٌ عندَ اللهِ، قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَقولُ: قَدْ حَقَّتْ مَحبَّتِي لِلَّذينَ يَتَحابُّونَ مِنْ أجلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذينَ يَتَزاوَرُونَ مِنْ أجلِي» [أحمد].

وَالزِّيارةُ تَشمَلُ زِيارةَ التَّهْنِئةِ، وَزِيارةَ التَّعْزِيَةِ، وَزِيارةَ المَرِيضِ، وَزِيارةَ القُبورِ.. إلخ، وَلِكُلِّ نَوعٍ مِنْ هذهِ الزِّياراتِ آدابٌ تَخُصُّهَا.

وَهذِهِ القِصَصُ ـ التي قَرَأْنَاهَا ـ تَجمَعُ لنَا الكثيرَ مِنْ آدابِ الزِّيارةِ؛ التي يَجِبُ أنْ يَلتزِمَ بهَا المُسلِمُ أثناءَ زِيارَتِهِ.

* * * * *

سلسلة قصص في الآداب

٨١٠٠٥٥